دراسة لبعض ظواهر شعر الانتفاضة في الأرض المحتلة

الدكتور

فوزى الحاج

جامعة الأزهر ـ غزة

ملخص

يقوم هـذا البحث على دراسة أهم الظواهر الفنيـة فى شعر الانتفـاضة فى الأرض المحتـلة ، وقد تم تقسيم هذه الظواهر الى قسمين : ظواهر سلبية تنحصر فى :

(١) الكم الهائل· (٢) النثرية المفرطة· (٣) التشابه· (٤) غياب الثقـافة · (٥) انعـدام الرؤية · (٦) المباشرة والتقريرية· (٧)الغموض والتعقيد·(٨) تسجيل الانطباعات اللحظية ·

ثم الظواهر الايجابية وتتلخص فى :

(١) الالتزام· (٢) الموسيقى· (٣) الجدة والابتكار لدى البعض··· هذا الفارق بين الظواهر السلبية وتلك الايجابية يدلنـا على حقيقـة واضحة وهى وجود أزمة على صـعيد الشعر ، ومن أبرز معالم هذه الأزمة ما يلى :

(١) عدم وجود جيل من الشعراء الشبان يخلف الجيل السابق ·

(٢) عدم معرفة العشرات ممن يحاولون الشعر طبيعـة هذا الفن وخصائصه ·

(٣) قيـام اتحاد الكتاب بنشر العشرات من الأعمـال الهابطة ·

(٤) عدم قيـام المؤسسات التعليميـة الكبرى بدورها المنوط بها فى هذا المجال ·

(٥) غياب النقد الأكاديمى وقيام النقد الصحفى على المجاملات ٠

(٦) ولعل أبرز معالم هذه الأزمة وأسبابها معا قلة القراءة لدى الشعراء والنقاد ٠

(٧) عدم ادراك من يكتبون الشعر لهذه الأزمة ، لأن ادراك الانسان لأزمته أول خطوة من خطوات العلاج ٠٠٠ ثم يقوم هذا البحث بوضع مجموعة من التوصيات أهمها :

(١) يجب أولا وقف اصدارات اتحاد الكتاب الفلسطينيين فى الداخل ٠

(٢) تشكيل لجنة من أساتذة الأدب والنقد فى الجامعات الفلسطينية لمتابعة قضية الشعر وكيفية اقالة عثرته ٠

(٣) قيام الجامعات الفلسطينية بعمل الندوات والمؤتمرات الأدبية التى تشجع الحركة الشعرية وتسدد خطاها ٠

من الواضح لكل مطلع على الأدب الفلسطينى عامة ، والشعر خاصة، أنه لم يظهرجيل من الشعراء يخلف الشعراء الكبار أمثال محمود درويش وسميح القاسم ومعين بسيسو وفدوى طوقان ، وأنه على مدى الربع قرن الأخير لم يظهر شاعرجديد يستطيع أن يضع اسمه بجانب أسماء ذلك الرعيل من الشعراء وذلك على الرغم من أن اتحاد الكتاب نسب الى عضويته أكثر من مئة « شاعر » نشر لمعظمهم اما ديوانا أو أكثر ، وذلك بالاضافة الى وجود قرابة مئتى « شاعر » آخر

لم يتنسبوا لاتحاد الكتاب ، لكنهم ينشرون على نفقتهم الخاصة ، كما ينشرون فى الصحف السيارة وبعض المجلات الأدبية وبذا يكون مجموع « الشعراء » فى الضفة الغربية وقطاع غزة ما يقارب الثلاثمئة أو يزيد [١] .

كان هذا المدخل ضروريا للوقوف عند أهم ظواهر الشعر الفلسطينى فى فترة الانتفاضة بل لعله يكون مفتاح هذه الظواهر جميعها .

وكان من الضرورى - منهجيا - تقسيم هذه الظواهر الى سلبية وايجابية ، كما كان من الضرورى البدء بالظواهر السلبية لسببين :

(١) كثرة هذه الظواهر وطغيانها بحيث وسمت بميسمها معظم الشعر المحلى .

(٢) أننا من المؤمنين أن المديح والاستحسان لا يبنى ثقافة ، وانما يبنيها النقد الهادف وان كان مخالفا رغباتنا وأهوائنا .

أولا : الظواهر السلبية

١ - الكم الهائل فى الانتاج المنسوب الى الشعر

من البديهى أنه لا توجد قوانين معينة تتحكم فى الموهبة

---

(١) نشر د. عادل أبو عمشة لأكثر من مئة شاعر فى كتابه « شعر الانتفاضة » واعتذر للباقين لعدم تمكنه من النشر للجميع . راجع : شعر الانتفاضة : منشورات اتحاد الكتاب الفلسطينيين . القدس . سنة ١٩٩١ م .

الشعرية ما عدا قانون الندرة ففى دراسة احصائية لنسبة عدد الشعراء الى غير الشعراء [٢] أشارت النتائج التقريبية الى وجود شاعر ممتاز لكل خمسة ملايين نسمة ، وشاعر متوسط لكل مليون نسمة · لكن عدد من يكتبون « الشعر » فى الضفة والقطاع يحطم هذه النسبة تحطيما ، بل ويحطم أى نسبة قد تظهر فى أية دراسة أخرى ، فلقد ذكرنا أن عدد من يكتبون « الشعر » لدينا يصل الى ثلاثمئة « شاعر » أى بنسبة تزيد على مئة شاعر لكل مليون نسمة ، وهذه نسبة مستحيلة احصائيا ومستحيلة أدبيا ومستحيلة على كل المستويات · ولو عدنا الى الدراسة السابقة لوجب أن يكون لدينا ـ فى الضفة والقطاع ـ ثلاثة شعراء فقط ، ولأنها دراسة تقريبية ـ كما ذكرنا ـ فلا بأس من مضاعفة العدد مرتين أو ثلاثة ، فيكون لدينا عشرة شعراء على أحسن الفروض ، ومرض الكثرة المفرطة فيمن ينسبون أنفسهم الى الشعر لا يقتصر على شعر الأرض المحتلة وانما هو عام فى جميع البلاد العربية ، ومرد ذلك أن الشعر الحر الذى قام بتحطيم النمط الشعرى التقليدى ولم يستقر على نمط حديث أوحى للكثيرين بالسهولة واليسر ، فتوهموا أنهم يستطيعون الكتابة فى هذا المجال ، فخرجت مئات الدواوين التى ليس لها صلة بالشعر سوى الاسم الخارجى فقط · وقد لاحظ

---

(٢) نشرت هذه الدراسة بمجلة « الشعر » عدد مايو ١٩٧٧ م · تظل الأرقام التى وردت بها تقريبية لأننا لا يمكن أن نخضع المواهب لقوانين لعلم الاحصاء ·

أدونيس ذلك منـذ زمن ليس باليسير وذلك حين كتب يقول :
« الواقع أن فى النتـاج الشعرى الجديد اختـلاطا وفوضى وغروراً تافها وشبه أميـة ، وبين الشعراء الجدد من يجهل حتى أبسـط ما يتطـلب الشـعر من ادراك لأسرار اللغـة والسيطرة عليها ومن لايعرف من الشعر غير ترتيب التفاعيل فى سياق ما ...

وقد يتسائل البعض ـ بسذاجة ـ وماذا فى أن يكتب كل هؤلاء الآلاف شعراً ؟ ومن المتضرر من ذلك ؟ .

ان المتضرر الأكبر هو القـارىء العـادى ، فهو اما أن ينصرف عن قـراءة الشعر لرداءة النماذج التى يراها ، أو يعتبرها المقيـاس الثقـافى ـ لأنه لا يرى غيرها ـ فتصبح الرداءة هى المقياس وهذا بالتحديد هو الانهيار لأى ثقافة . والمتضرر الآخر هو الثقافة العربية بعامة التى يؤدى الشعر الهابط ـ ضمن العوامل الأخرى ـ الى هبوطها .

٢ ـ التشـابه

والظاهرة المرضية الثانية فىشعر الانتفاضة فى الأرض المحتلة هى تشابه القصائد تشابها يجعلها تبدو نسخا مكررة لا نشعر بالفارق بين هذه القصيدة وتلك ولا بين هذا الشاعر وذاك وهذا التشابه يتعلق بالموضوعات وطريقة معالجتها ، فالموضوع المحورى هو الانتفاضة التىتحدث عنها الشعراء، وهناك مواضيع أخرى هامشية ولكن التقى حولها الشعراء أيضا مثل الدعوة الى نبذ الخلافات وتوحيد الصفوف ، أما طريقة المعالجة فكانت متشابهة كذلك بحيث تطرق جل هؤلاء

الشعراء الى موضوعاتهم بطريقة مباشرة وتقريرية ، وفى ظل هذا التشابه والتكرار أصبح البحث عن قصيدة «متميزة» كالبحث عن جوهـرة بين كومة من القش ، وكثيراً ما تكون قصائد الشاعر ذاته متشابهة ، وصوره متشابهة ، وألفاظه متشابهة ، ومن قبيل تكرار الصورة بذاتها ما فعله الشاعر يوسف المحمود الذى يقع على صورة جديدة عندما يقول :

هذا هو الولد الذى سقط مضرجا بالعشق [٣]

والصعوبة العثور على صورة شعرية جديدة يعيد نفس الصورة فى نفس الديوان اذ يقول :

هذه هى الصبية التى سقطت مضرجة بالعشق [٤]

ويعود هذا التشابه الى أمور كثيرة فالظواهر المرضية ـ كما سنلاحظ ـ مرتبط بعضها ببعض أو مسبب له ولعل من أهم هذه الأمور أن المئات ممن يحاولون كتابة الشعر يحملون نفس المفهوم لهـذا الفن ، كما أن امتلاكهم الأدوات الفنيـة محدود بصورة متساوية وغير ذلك من الأسباب التى سنقف عند بعضها بالتفصيل ٠

٣ ـ المبـاشرة والتقريرية والهتـاف

وهذه الأمور من ألد أعـداء أى من الفنـون ناهيك عن الشعر فالشعر لا غنى له عن مجموعة من الأدوات والوسائل

---

(٣) ديوان « زغاريد عن بوابـة الصنـاح » اتحاد الكتـاب ٠ القـدس سـنة ١٩٨٩ ص ٨٣ ٠

(٤) السابق ص ٩٥ ٠

الفنية والتقنيـة ، بها يصبح شعراً وبدونها قد يكون مقـالا سياسيا أو خطبة فى أحد المحافل · ولعل أبرز هذه التقنيات ما يعرف باسم (المعـادل الموضوعى) صحيح أن المعـادل الموضوعى ـ كمصطلح ـ عرف منـذ اليـوت فقط ، لـكنه كظاهرة فنية موجودٌ منذ وجود الفن وهو يعنى ـ ببساطة ـ ايجـاد بديل فنى ملموس للمشاعر المجردة لدى الفنـان ، يستطيع بوساطة هذا البديل ايصال هذه المشاعر للمتلقى ، أى أن الفنان بشكل عام ، والشاعر بشكل خاص لايسعى الى اخبارنا بطبيعة مشاعره ولكنه يسعى الى نقل وتوصيل هذه المشاعر ، وتسمى وسيلة النقـل فى هذه الحالة (معـادلا موضوعيا) وغالبا ما يكون هذا المعادل الموضوعى فى شكل صورة فنية ·

والمتأمل لشعر الانتفاضة فى الأرض المحتلة نادراً مايعثر على مثـل هذا المعادل الموضوعى وان عثر عليه فبصعوبة بالغة ، وغالبا ما يجد التعبير المباشر بل والهتاف ·

وقد أشار الى هذه الظاهرة أكثر من باحث ، فالدكتور عادل أبو عمشة يقول تحت سمة المباشرة ··· ان كثيراً من القصائد قـد تناولت أحداث الانتفاضة بطريقة مباشرة ، بل واستعملت كثيراً من العبـارات والمفـردات التى تتردد فى بيانات الانتفاضة··· ومن ذلك قصيدة (نكتحل بالانتفاضة) لحنان عواد فكثير من مقاطعها تصلح أن تكون بداية لبعض البيانات ومن ذلك قولها (الى أطفال البطولة الفلسطينية ، الى أمهـات العاشقين ، الى فوارس فلسطين) أما الشاعر

عبد الحكيم جاموس فقد اختـــار أن يصوغ فى قالب شعرى الشعار الذى تبدأ به بيانات الانتفاضة حيث يقول :

(لا صوت يعلو فوق صوت الانتفاضة فاصطبر) (٥)

كما تعيـد الشاعرة حنـــان عواد الحديث ذاته ، فتكتب تحت عنـوان (المباشرة والخطابية فى الحديث مع الانسان الفلسطينى : فالشـــاعر الفلسطينى خاطب الجمهور بشـــكل مباشر على أساس التفاعل الوجدانى والواقعى مع الحدث) وهى تبرر هذه المباشرة والخطابية بقولها (نحن نكتب أدب معركة وأدب المعركة بحاجة الى الايقاعات السريعة تتناسب مع سرعة أحداث المعركة) (٦) .

فهـل صحيح أن الابتعـاد عن الفن ووسائله يمكن أن يبرره شىء سوى ضعف القدرات الفنية ؟ .

ولننظر الى بعض نماذج هذه المباشرة والخطابية ، مع العلم أن هذه النماذج تند عن الحصر ، يقول نبيل جولانى :

مرة أخرى أبدأ
فاخرسى ياذئاب
لن أستسلم أبدأ
لن أسقط كالسحاب

---

(٥) شعر الانتفـاضة ص ٢٩ ـ ٣٠ .

(٦) بعـد الف يوم من الانتفـاضة : المتـوكل طه ، إبراهيم جوهر ـ اتحاد الكتـاب بدون . ص ١٠ .

كنا فى الخيمة ما زلنا
لا نحسب للأوغاد حساب [٧]

ويخاطب خالد سعيد اليهود بكل ما لديه من قدرة على الشتائم قائلا :

أيها الأخوة للقرد
وعباد البقرة
أنتم عين النجاسة
لو يزيل الطهر شيء عن مياه البحر كنتم
أنتم ذلك القذر [٨]

ويقول ثالث : وهو محمد حسن أبو بكر :

اليكم أيها النفر القليل
اليكم أيها المتحذلقون بالسياسة
دعكم من هذه السخافة
ان موقعكم ليس هنا ولا بهذا
عليكم أن تتابعوا الرياضة
فى سيوءول
دعكم وشأن الانتفاضة
الانتفاضة لا تحتاج لأمثالكم
فلم يأت دوركم لتقطفوا ثمار الانتفاضة ... الخ [٩]

---

(٧) قصائد عن حب يتجدد : اتحاد الكتاب . القدس سنة ١٩٩٠ ص ٧٠ .

(٨) شعر الانتفاضة ص ١٢٨ .

(٩) لا تخشوا الرصاص . الأسوار - عكا سنة ١٩٨٩ ص ٣٦ .

وكان هنـاك من نظر الى هذه الآفة على أنها عيب على الشـعر ، ومن هؤلاء الأسـتاذ ابراهيم جوهر الذى أشار بوضوح الى أن المبـاشرة والتقريرية والتصوير الجاف من عيوب الشعر ونصح الشعراء بالبعد عنها [١٠] ٠

كما أشـار الى ذلك بوضـوح الأستاذ أسـعد الأسعد عندما قال (لم تصـدر حتى الآن أعمال أدبيـة مميزة على مستوى الأحداث ، كل ماهنالك صدور عدد كبير من القصائد التى تتسم بالمباشرة والتقريرية وعدم النضوج الفنى ، وهذه لا يمكن أن نعتبرها أدب الانتفاضة) [١١] ٠

٤ ـ النثـرية ٠٠٠٠

من الطعون البـارزة التى وجهت الى الشعر الحر أنه يوحى بالسهولة ، فيتوهم الكثيرون أنهم يستطيعون كتـابة مثل هذا الشعر ، ويشيع بين الكثيرين أن هذا الشعر لا وزن له ولا قافيـة لذا وجدناهم ينظرون الى الخليـل والعروض بازدراء شديد ، ويكتبون دون التزام بأى نمط موسيقى عرفه الخليل أو لم يعرفه ٠

والبحث عن السهولة واليسر والهروب من أيـة قواعد جعل بعضا آخر يجرى وراء ما يسمى « قصيدة النثر » وكأن وجود ثلاثمائة شاعر لم يعد يكفينا ، لذا جاء ثلاثمائة آخرون يكتبون ثرثرة فارغة باسم قصيدة النثر ليكون لدينا ستمائة

---

(١٠) انظر بعـد الف يوم من الانتفـاضة ص ١١٠ ٠

(١١) السابق ص ١١٤ ٠

شاعر ، ونكون بالتالى أشعر أمة أخرجت للناس !!!

وقد نسى هؤلاء وأولئك أن لكل فن من الفنون مجموعة قيـود . هذه القيود تحدد جوهره وهويتـه ، كما تمنـع من لا يملكون موهبة حقيقية من دخول حديقة هذا الفن ، وهذه القاعدة تنطبق على الفنون جميعا دون استثناء ، لا يوجد ، ولم يوجد ، ولا أظن أنه سيوجد فى يوم ما فن دون قيود أو ضوابط ، أو كما يقول المناطقة : حدود جامعة مانعة ، تجمع أفراد الجنس وتمنع أفراد غيره من الدخول فيه ٠

والشعر من هذه الفنـون وأهم قيوده - وهى كثيرة - الموسيقى ، وبعيـداً عن محاولة تعريف فاشلة للشعر ، فان أهم سمة له أنه كلام « مموسق » ، أى أن الموسيقى لحمتـه وسداه ، وسواء كانت هذه الموسيقى خليلية أم أنها معاصرة نجاوزت قوانين الخليـل الى قوانين جـديدة ، الا أن هذه الموسيقى أمر ضرورى لا يمكن الاستغناء عنه تحت أى مبرر على الاطلاق ، ولقـد أشار معظم رواد الشـعر الحـر الى التزامهم بالموسيقى ، وطريقة تنويعهم على البحور الخليلية وعدم تخليهم عنها ، بل ان نازك الملائكة ترى أن الشعر الحر مرحلة تطورية لعروض الشعر العربى (١٢) ، فليس الأمر اذن هجرانا للموسيقى والعروض كما يتوهم الواهمون ٠

وقد قدم بعض رأيا له وجاهته وهو أن الخيال الخلاق والايقاع الداخلى ، والبعد النبوئى والمشاعر المتقـدة ، كل

---

(١٢) قضايا الشـعر المعـاصر ٠ دار العلم للملايين - بيـروت ط ٧ سـنة ١٩٨٣ ص ١٣ ٠

هذه الأمور تعوض فقدان الموسيقى الخارجية (العروض) .

ولكن هذا الرأى - ان سلمنا بصحته جدلا - يؤدى الى خلل خطير لمسناه عند التطبيق ، وذلك أن من يأخذون به يعملون بنصفه الأول فقط ، حيث يحطمون العروض تحطيما بينما لا نجد الخيال ولا الايقاع الداخلى ولا العواطف المتقدة ، أما الحس النبوئى فان المطالبة به أمر عسير ان لم يكن مستحيلا .

ولقد أتاح دريدن تحطيم بعض القواعد من أجل الجمال العظيم ، أما خسران القواعد وخسران الجمال فأمر لا يمكن احتماله .

والأمثلة علىتجاوز الموسيقى كثيرة فى شعر الانتفاضة، بل ان كثرتها تدعو الى القلق على حال الشعر المحلى ، ومن ذلك ما كتبه نبيل جولانى :

سافرت بعيداً حتى باب المدينة
سافرت طويلا حتى باب القلب
والشمس التفت بوشاح القمر
ونامت
وخيوطها التفت حولى فتظاهرت
وسافرت مرة أخرى [١٣]

وللشاعر جمال سلسُع قصيدة تبلغ فيها النثرية مداها وذلك رغم الحس الموسيقىالواضح لدى الشاعر فى قصائده

---

(١٣) قصائد عن حب يتجدد ص ١٤ .

الأخرى ، يقول بعنوان « كلمات فوق جسد الشهيد » :

...ولأنها تتجمع فيك كل هذه الأشياء
مجسدة بأنبل ما يكون التجدد
متدفقة بالصدق والارادة والاستمرارية
فتم اغتيالك بقرار حاقد ... متآمر ... الخ [١٤]

وتضيف شاعرة ثالثة الى هذه الأمثلة مثالا أكثر رداءة، تقول بعنوان « أول قصيدة » :

يوم كتبت
أول قصيدة
لم أكن أدرى
أننى أتورط
فى عملية صعبة
ستطبق على أحلامى
ولن أستطيع أبدأ
الفـرار [١٥]

ولعـل من نافلة القول الاشارة الى أننـا لو استطعنا التغاضى عن بعض عيوب الشعر ، فان من المؤكد أن الابتعاد عن الموسيقى لا يمكن لأى ناقد جاد التغاضى عنه ، لأن تجاوز

---

(١٤) اناشيد البرق والأطفـال والحجارة · جمال سلسع · اتحـاد الكتـاب · القـدس سنـة ١٩٩٠ ص ٧ كما ان هنـاك الصفحات ٧ ـ ٨٠ ينبغى تحديد الفن الذى تنتمى إليـه ، وقد يكون اى شىء إلا الشـعر ·

(١٥) وطنى نذرت لعينيـك عمرى · نجـلاء شهوان · اتحاد الكتـاب سـنة ١٩٨٩ ص ٩ ولعـل هذا الديوان أسوأ ما طبـع الاتحاد خلال وجوده·

الموسيقى معناه ببساطة أن هذا الكلام خرج من نطاق الشعر الى نطاق النثر ، حتى وان توفرت له بقية مميزات الشعر الأخرى ، فكيف اذا فقدنا الموسيقى وبقية مميزات الشعر الأخرى ؟ !٠

٥ ـ غياب الثقافة

والملاحظة المرضية الخامسة التى يلاحظها المطلع على شعر الانتفاضة فى الأرض المحتلة هى غياب الثقافة لدى غالبية شعرائنا ، وهذه السمة لا تقتصر على الشعراء فقط ، ولكن الحديث هنا يقتصر على الشعر والشعراء ٠

والقارىء للنماذج الرفيعة من الشعر الحر للسياب وعبد الصبور وأمل دنقل ودرويش وغيرهم من هذا الجيل المتميز يلاحظ فيما يلاحظ ثقافة هؤلاء الشعراء العميقة ، وأنهم يغترفون من هذه الثقافة الواسعة ويصبون أشعارهم، ويظهر ذلك من خلال توظيفهم لشخصيات تراثية أو أساطير اغريقية أو حوادث تاريخية أو مواقف فلسفية أو نماذج انسانية ، وغير ذلك كثير مما يجعل أشعارهم ذات عمق ورؤية ناضجة للكون ، أما الكثير من شعرائنا فقد اكتفى بما قرأه فى المدرسة وبعض ما قرأ لزملائه من نفس الطبقة الشعرية ، مما جعل معظم قصائدهم أقرب الى الطرطشة العاطفية [١٦] ومحكومة بالتشابه والسطحية ، حتى وصلت

---

(١٦) الطرطشة العاطفية مصطلح خاص وضعه د٠ محمد مندور للدلالة على العاطفة غير المبدعة أو الانطباعات غير المنهجية ٠ راجع : « فى الأدب والنقد » دار نهضة مصر ٠ بدون ٠

هذه الأشعار درجة من التسطيح لا مزيد عليها: تقول شاعرة بعنوان خروف العيد :

هذه المرة ٠
عيونى تتقيؤنى عسلا أسود
قلبى يشيخ ألف قرن ويوم
أيامى ردهات بلا منافذ
العـذاب
لم يعد يطيقنى دمى يبصق فمه
يقطعنى اربا
ويضربنى
أحـدى :
يقطع أيادى السبت
كى يتسنى ٠٠٠٠ الخ [١٧]

وتتضح نظرة الازدراء للتراث العربى ورموزه الكبيرة عند بعض الشعراء ومن ذلك ما يقوله سامى الكيلانى :

لا تضحكوا !
سأروى لكم عن جدتى قصة
فى وسط القصيدة
ولن يغضب الخليل بن أحمد من فعلتى
ولا الشنفرى ولا (تأبط شراً) [١٨]

---

(١٧) رؤى الياسمين ٠ عائـدة حسنين ٠ سـنة ١٩٩٢ ص ٥٢ ٠
(١٨) قبـل الأرض واستراح ٠ اتحاد الكتـاب سـنة ١٩٨٩ ص ٧٩ ٠

ولو قرأ شعراؤنا أشعار غيرهم لأدركوا قيمة الثقافة فى تشكيل الرؤيا وقيمتها فى تشكيل الشعر واعطائه قيمته الفنية والمضمونية والجمالية ، فعلى سبيل المثال فى ديوان واحد لأمل دنقل بعنوان « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » نجد توظيفا فنيا لشخصية الزرقاء وعنترة فى القصيدة التى تحمل هذا الاسم بالاضافة الى توظيف قصة الزباء ملكة تدمر مع جزيمة الأبرش وفى قصيدة « من مذكرات المتنبى فى مصر » نجد توظيفا كاملا لشخصيات المتنبى وكافور وسيف الدولة والمعتصم وليلى الأخيلية وفى قصيدة أخرى نجد توظيفا لشخصية سبارتاكوس محرر العبيد ، وسيزيف وهانيبال والقياصرة ، وفى قصيدة أخرى نجد توظيفا لشخصية أبى موسى الأشعرى ، وهكذا نلمح فى كل قصيدة ملمحا من ملامح الثقافة الواسعة للشاعر ، وهو يوظف هذه الثقافة خير توظيف ، فيرتفع بمستوى الأداء الشعرى الى أرفع مكانة ، ويرتفع بمستوى القارىء الثقافى ، كما يرتفع بمستواه الحسى والجمالى .

أما اذا كان الشاعر لا يملك شيئا من هذه الثقافة ، فما الذى يمكن أن يقدمه للقارىء ؟ وما الذى يمكن أن يقدمه للحركة الثقافية فى بلاده ؟؟ .

وهنا نختلف مع مريد البرغوثى الذى يسمى ذلك « انخفاض مستوى الافتراض » وكأن الشاعر يمتلك ثقافة عميقة ولكنه لا يحسن الظن بالقارىء فلا يستغل هذه الثقافة وهذا غير صحيح فالثقافة ليست أداة يستخدمها الشاعر

حين يشاء ، بل هى البوتقة التى تنصهر فيها جميع عناصر الابداع [١٩] .

٦ ـ انعدام الرؤية الشعرية

لم يفلح معظم شعرائنا فى تقديم رؤية متفردة للحياة أو للبشر وظل الشعر فى نظرهم مجموعة من الألفاظ الرنانة يتم التقديم والتأخير فيها فينتج العديد من القصائد ، ولتوضيح مفهوم الرؤية فى الشعر نعيد ما قاله الدكتور عشرى زايد من أن الشاعر المتميز شديد الحرص على أن ينظر الى الوجود من زاوية لم يسبق لأحد قبله أن نظر اليه منها وأن يعالج هذه الرؤية الخاصة بطريقة فنية متفردة تفتح أعيننا على جوانب وأبعاد خفية لم نكن لندركها لو لم يفتح الشاعر أعيننا عليها ، وتجعلنا نحس أن هذا العالم الغريب الذى تقدمه لنا القصيدة هو من ابداع الشاعر وابتكاره حتىولو كانت مفرداته مستمدة منالوجود الواقعى لأن الشاعر يعيد صياغة هذه المفردات على نحو خاص يجعل هذا الكيان الجديد المؤلف من هذه المفردات كيانا خاصا منتميا الى الشاعر أكثر من انتمائه الى عالم الواقع ... وبمقدار خصوصية هذا الكيان الجديد وانتمائه الى الشاعر ترتفع القيمة الفنية للقصيدة وبمقدار ابتعاد القصيدة عن أن تكون صورة حقيقية للواقع تقترب من مفهوم الحداثة [٢٠] .

---

(١٩) انظر : أزمة الشعر المعلى ص ١٠ .

(٢٠) عن بناء القصيدة العربية ، مكتبة دار العروبة الكويت سنة ١٩٨١ ص ٢١ .

ودواوين كبـــار الشعراء المحدثين حافلة بنماذج الرؤية المتفـــردة للكون ، ذلك أنهم رفضـــوا أن يكونوا مجرد نسخ مكررة للآخرين ، فهذه نازك الملائكة تتحدث عن حادثة فيضان الفرات الذى أغرق بغداد عام ١٩٥٤ ، فى قصيدة « النهـــر العاشق » فتقول :

أين نمضى ؟ انه يعدو الينـــا
راكضا عبر حقول القمح ، لا يلوى خطاه
باسطا فى لمعـــة الفجر ذراعيه الينا
طافرا كالريح ... نشوان ... يداه
سوف تلقانا ، وتطوى رعبنا أنى مشينا

★ ★ ★

انه يعدو ويعدو
وهو يجتاز بلا صوت قرانا
ماؤه الينبى يجتاح ، ولا يلويه سد
انه يتبعنا لهفان أن يطوى صبانا
فى ذراعيه ، ويسقينا الحنانا

★ ★ ★

لم يزل يتبعنا مبتسما بسمة حب
قدماه الرطبتان
تركت آثارها الحمراء فى كل مكان
انه قد عاث فى شرق وغرب
فى حنـــان

★ ★ ★

أين نعدو ؟ وهو قد لف يديه
حول أكتاف المدينة
انه يعمل فى بطء وحزم وسكينة
ساكبا من شفتيه
قبلا طينية ... غطت مراعينا الحزينة ؟؟؟ (٢١)

فنحن حين نقـرأ هذه القصيدة نحس أن هذا النهر من ابداع الشاعرة ، وأنه نهر خاص بها ذلك أن الشاعرة تناولت حادثة الفيضان من زاوية متفردة لم يعد النهـر من خلالها مجرد نهـر عات مدمر يغرق طوفانه المدينـة وانما أصبح عاشقا حانيا ومحموما فى الوقت ذاته ، يحتضن المدينة بحبه العـارم المدمر (٢٢) .

فـكم من شعرائنا تكونت لديهم هـذه الرؤية المتفردة وظهرت فى شعره ؟؟ .

وانعدام الرؤية الخاصة ناتج من أكثر من جهة : فهـو انعدام الثقـافة أولا ، وانعـدام التجربة الشعرية ثانيـا ، وانعدام الحس النبوئى ثالثا .

وقـد أدى عدم الرؤيا الى كثير من التشوش فى هـذا الشعر ، ذلك أن الشاعر لا يملك فكرا معينا وليس له ملامح محددة وظل العبث باللغـة مفردة ومركبة ، هو لب العملية الشعرية لدى هؤلاء الشعراء .

---

(٢١) ديوان « شـجرة القمـر » : بيـروت : دار العـلم الملايين - ص ١٣٥ ـ ١٣٦ .

(٢٢) د. على عشرى زايد : عن بنـاء القصيدة العربية. مرجع سابق - (م ١٣ ـ حوليـة كليـة الدراسات)

وقـد أدى هذا العيب الى العيب التـالى ، ولقد كررنا القول ان هذه العيوب مرتبطة بعضها ببعض ٠

٧ ـ تسجيل الانطباعات اللحظية السريعة

ويصبح الشعر بهذا المفهوم سجلا يوميا لجميع أحداث وانطبـاعات الانتفاضة ، وهـذا أمر غير وارد فى طبيعـة الشعر ، وهو من طبيعة العمل الصحفى وبنوك المعلومات ، أما الشعر فانه يصطاد اللحظات العبقرية ويسجلها بطريقة عبقرية أيضا ٠

ومن الواضح أن الشاعر المعـاصر أصبح يمتـلك من التقنيات الحديثة لبناء القصيدة ما لم يتوفر لسلفه التقليدى، وعلى سبيل الذكر لا الحصرنذكر من هذه الأدوات: الاستعانة بالفنون الأخرى كالدراما مثـلا ، وذلك فى البناء الدرامى المتصاعد أو فى الحوار أو فى المونولوج واستخدام أسلوب القص والاستعانة من فنالسينما بالارتداد أو « الفلاش باك» وكذلك استخدام المفارقة التصويرية أو توظيف التراث المحلى أو الأساطير العالمية أو الرموز الدينية أو الفلسفية ، اضافة الى تشكيلات لا حصر لها فى هندسة القصيدة الحديثة ٠

أين كل ذلك من شـاعرنا المحلى ؟؟ بل أين شـاعرنا المحلى من كل ذلك ؟؟ ٠

يقول على الخليـلى فى تقـريرية جافة ونثـرية مفرطة بعنـوان « لن نعتذر لكم » ٠

واسحق رابين يقول :

لم أستخدم المدافع والطائرات والدبابات بعد ٠ فلماذا

تحدثونى عن الانتصار ؟ ٠

ويقول : الحرب ، الحرب ٠

ووزير العدل الذى هو ذاته وزير السياحة الاسرائيلى أبراهام شارير يؤكد أن الحجر سلاح ليقف شامير على تلة فى بيت لحم . ويعلن أن تحت الأقدام، جراد ، جراد ٠٠ الخ[٢٣]

ولا يكتفى الخليلى بمثل هذا « الشعر » بل يضيف آراء خاصة حول النقد الأدبى الذى لم يعرف قيمة شعره بعد ، فهو يقول ان شعرنا رائع جداً وهو مع الأحداث وفىمستواها وكان قد أرهص بها ، لم يهبط شعراؤنا فجأة وانما هم فى لحم وعظم الأحداث ، كانوا وما يزالون وسيستمرون فيها ، ولكننى أؤكد أن الانتفاضة زادت من صقلهم ، وزادت من حيويتهم ويمكن متابعة هذا كله عبر المجموعات الشعرية الجديدة التى صدرت مؤخراً ، الا أن النقد هابط أو أنه غائب تماما [٢٤] ٠

ومن الواجب أن أشير الى أن أكثر من باحث كان قد ذكر هذه الملاحظة الجوهرية حول معظم شعر الانتفاضة ، ومنهم الأستاذ أسعد الأسعد الذى قال ان معظم ما كتب حتى الآن لا يعدو كونه رد فعل انفعالى متسرع أكثر منه ابداعا « بل وصل الى القول ان ما كتب » من شعر لا يستحق القراءة

---

(٢٣) ديوان « سبحانك سبحان » إتحاد الكتاب ٠ القدس سنة ١٩٩١ ص ١٢٦ ٠

(٢٤) بعد ألف يوم من الانتفاضة ص ٨٧ ٠

وطلب من الشعراء أن يتروووا قليلا قبل نشر قصائدهم [٢٥] -

وقد أشار الأستاذ جمال بنورة الى هذه الحقيقة من طرف خفى حين قال « ان ما نشر حتى الآن من قصة وشعر لم يصل الى مستوى أحداث الانتفاضة [٢٦] ٠

٨ ـ الغموض والتعقيد ٠٠٠

وهو الوجه المقابل لعملية المباشرة والخطابية وكلاهما قاتل للفن ، وكانت نازك الملائكة قد دعت فى مقدمة ديوانها « شظايا ورماد » الصادر عام ١٩٤٩ م ، الى جانب التحرر من رتابة القافية ومن وحدة النغم ، الى شعر مبهم يلعب فيه الايحاء دوراً لأن الابهام جزء أساسى من حياة النفس البشرية ، لا مفر من مواجهته ان نحن أردنا فنا يصف النفس ويلمس حياتها وربما كان تحقيق هذه الفكرة هو الجانب الايجابى الذى حققه أصحاب الشعر الحر [٢٧] وكلام الملائكة هذا يعنى أن يغلف الشاعر تجربته الشعرية بغلاف شفاف من الغموض الموحى بحيث تقدم القصيدة للقارىء بعضا ، وتترك له الفرصة ليبدع البعض الآخر ، أو يشارك فى تخيله ، وعملية اشراك القارىء فى عملية الابداع فى القصيدة الحديثة من أهم ما يميزها عن القصيدة التقليدية ، التى تقوم عطاءها منذ الوهلة الأولى تقريبا ٠

---

(٢٥) السابق ص ١١٢ ٠

(٢٦) السابق ص ١١٠ ٠

(٢٧) الدكتور الطاهر مكى : الشعر العربى المعاصر ص ١٥٢ -

ولقد أشار بقيمة هذا الغموض الشفاف الموحى كل النقاد والدارسين الذين تعرضوا للشعر الحر فهذا الدكتور محمد غنيمى هلال يرى أن أهم متطلبات الصورة الشعرية أن تكون موحية لامباشرة فالصورة التعبيرية الايحائية أقوى فنيا من الصور الوصفية المباشرة ، اذ أن للايحاء فضلا لا ينكر على التصريح (٢٨) .

ولكن الغموض الذى نشاهده فى شعرنا المحلى ليس من هذا النوع ، انه غموض ناتج من انعدام الرؤية الشعرية كما أشرنا ، وناتج من عدم امتلاك الأدوات الفنية اللازمة لبناء القصيدة ويمكن اختصار هذا الغموض بأنه تكوين لغوى يهدف الى صرف القارىء عن حقيقة أن الشاعر لا يملك شيئا ليقوله .

ولا شك أن الفن جميعه يقوم على المرسل والرسالة والمستقبل ، فاذا فسد أى طرف من الأطراف الثلاثة فسدت العملية الفنية ، وهذا هو حال الشعر ؟ فاذا لم يستطع المستقبل أن يفهم « الرسالة » أو يحس بها كانت الرسالة فاسدة أو كان الخلل من المرسل ولا يكون الاحتكام هنا الى القارىء البسيط وانما الى المثقفين المتمرسين على قراءة الشعر الجيد وتذوقه .

ويقف الناس - عادة - مما لا يفهمون من الشعر قسمين :

---

(٢٨) النقد الأدبى الحديث . دار نهضة مصر . القاهرة سنة ١٩٧٣ ص ٤٢٦ .

- قسم المثقفين ويرفضون هذا الانتاج تماما ويبصرون العيب فى المرسل والرسالة ٠
- وقسم أنصاف المثقفين ويرى الواحد فيهم العيب فى ذاته هو وأن هذا الانتاج لابد أن يكون عظيما « ولكن أنى للبسطاء أمثاله أن يفهموا هذا الشعر » ويعتمد معظم شعرائنا على هذه النوعية من القراء فى انتشار أشعارهم وانتشار أسمائهم ٠

ومن نماذج هذا الغموض والالغاز ، وهى عديدة ، قول أحدهم بعنوان « الحرب فى زمن المستحيل » :

على هذه الأرض
أمتشق الزمن الأولا
أمد يدى فأراها
وأشعر أنى أحركها باتجاه البذار
هناك ينام حبيبى طويلا
وأجمل أحلامه فى اصطحابى كثيراً
هنا تسكن النفس
يتضح الفرق بين النضار وبين البوار [٢٩]

أو قول آخر فى صورة ملغزة :

وفوق الصوارى
جماجم
وفى غرفة الموتى

---

(٢٩) شعر الانتفاضة ص ٢٥٩ ، والشعر لعيسى بشارة ٠

أطفال نيـام ! [٣٠]

أو قول ثالث فى قصيدة « عصـماء » مكونة من أربـع كلمات فقط ، وهى تؤكد ما ذهبت اليـه فى تفسير الغموض من أنه دلالة على عدم وجود رسالة لدى الشاعر ، تقول :

وسادة الأفكار

تغـازل النافذة [٣١]

والملاحظ أن كبـار الشـعراء التقليديين أمثـال المتنبى والمعرى وشوقى وكبـار الشعراء المحدثين أمثـال السياب وعبد الصبور ودرويش ونزار وغيرهم لم يستطيعوا كتـابة قصيدة من ثلاث كلمات أو أربعـة ، ولكن شعراءنا المحليين استطاعوا !! ؟ (*)

ومن نمـاذج الغمـوض حتى العبث ما كتبـه حسـين البرغوثى تحت عنوان « التنبؤات » يقول : « سـيأتى زمان عليك ، يكون هواء البـر فيه جفاف يجرح سطح الشـفاه ، وسوف يكون القمـر الأول عينـا بسبع رموش انما لا ترى موت الاله ، يميل بك السبيل هناك وتعتم كل الدروب وتسأل هل أخطأت فى فك حروف الخريطة أو فى مقاييس الخطى ؟ وهناك حاول أن ترى فى الجهة الأخرى لهذه البلاد سمعت

---

(٣٠) السابق ص ٢٢٠ ، والشعر لماجد أبو غوش .

(٣١) رؤى الياسمين ص ٢٠ .

(*) جاء فى كتـاب « أخبـار الحمقى والمغفـلين » للإمام ابن الجوزى أن أحد الجهلاء سأل عالمـا : إذا خرج من الرجل ريح وصلى ، هل تجوز صلاته ؟ فقـال العالم : لا تجوز . قال الجاهل : أنا فعلت وجاز !! .

بأبواب عديدة ، ستزين نفسك بالأقحوان الأكثر امعانا فى الحمرة ، أو تتعرى مغتسلا بالقمر الطالع خلف الجبال وتسبح فى الماء البارد للنبع فتخرج أميل للايفاء بالوعد والمشى حيث أنحنى بالسائرين ... الخ » (٣٢) .

★ ★ ★

هذه أهم الظواهر السلبية فىشعر الانتفاضة فى الأرض المحتلة ، وان كان المتتبع والدارس لهذا الشعر يستطيع الخروج بظواهر أخرى ،لكنا وقفنا عندما نعتقد أنه الأكثر أهمية ، أما الأمر الذى لا شك فيه ، فهو أن هذه الظواهر هى التى جعلت شعرنا المحلى يظل محليا .

والمقياس الذى نعتقد بعمق موضوعيته فى هذا المجال هو معرفة المثقف العربى بشعرائنا المجدد ، ان القارىء العربى من المحيط الى الخليج لا يعرف من شعرائنا سوى محمود درويش وأبناء جيله ، أما الجيل التالى من شعراء الأرض المحتلة خاصة ، فلم يخرج منهم أحد خارج حدود الوطن المحتل الا لغاية دراسية وفى أضيق نطاق .

ولكن هذه الصورة القاتمة لشعرنا المحلى لا تنسحب على جميع الشعراء ، بل تظل هناك قلة قليلة منهم استطاعت أن تتجاوز هذه العيوب ، أو معظمها ومن هؤلاء الشعراء ، من لو توفر على القراءة فى الأدب العربى قديمه وحديثه ، والآداب العالمية ، لاستطاع دون ريب أن يخترق حدود المحلية وأن يفرض أدبه وفنه على القارىء العربى من المحيط الى

---

(٣٢) الرؤيا . حسين البرغوثى إتحاد الكتاب سنة ١٩٩٠ ص ١٥ .

الخليج ومن هؤلاء الشعراء ، المتوكل طه من الضفة الغربية، وسائد السويركى من قطاع غزة وغيرهم ولـكن ليس كثير لذا كان من الضرورى الوّقوف عند أهم الظواهر الايجابية التى ظهرت فى شعر هذا النفر القليـل ٠

ثانيـا : الظواهر الايجابية

١ ـ الالتـزام :

لعل أهم هذه الظواهر ما يتعلق بالمضمون وهى الالتزام وهو يعنى التصاق الشعراء بقضـايا شعبهم ومعايشتها بل ومعاناتها ، والبعد عن الأبراج العاجية ، ولم يقتصر تحقيق هذه الظاهرة على شـعراء دون آخرين بل ان الجميع التزم بها بل ان الملاحظ أن عدداً كبيراً من شعراء الانتفاضة كتبوا أشعارهم داخل المعتقلات ، وقـد كانت الانتفاضة الموضوع الرئيسى للشعراء ومن خلالها قاموا بتنويعات كثيرة ، وبرزت الدعوة الى النضال ضـد المستعمر بكل الوسائل المتـاحة والدعوة الى صمود المواطنين العـاديين فى وجه أعمـال البطش الاسرائيلى التى تهـدف الى اذلال شـعبنا وارهابه وتجويعه وتركيعه ليقبل فى النهاية ما تفرض عليه من حلول سياسية هزيلة ولكن شـعبنا الفلسطينى ما زال ، وسيزال يرفض ذلك بكل وسائله ، لا أقول هذا الكلام من قبيل الخطابة أو الهتـاف وانما لأن الشعر وسـيلة ضرورية وفعـالة من وسائل الرفض والمقـاومة

ومن القصائد التى صورت هذا النضال بالحجر خيـر تصوير « حجر ويكتمل القمر » للشاعر عدنان ضميرى والتى

يصور فيهـا كيف أن كل حجر يقرب الشعب الفلسطينى من تحقيق آماله ويهزأ فيهـا أيضا من الموقف العربى المتخاذل وذلك أن الحجر الشجاع خيـر من الأسلحة الذليـلة ، يقول فيهـا :

حجر تلفع بالأصابع غضة

حجر تمنطق بالرجولة وانتصر

حجر ويكتمل القمر

حجر وينتصر الفراش على الجراد

حجر تفتق عن ورود

حجر وتختصر الحدود

حجر يقوم على الخرائط ضاحكا

من كل أسلحة العرب

حجر وينتفض الغضب

انا نطوف اليوم حول ملحمة الغضب

حجر يسابق ظله

يقظا كظبى بلادنا

وتلفنا أوراق دالية الخليل

حجر وينتحر العويل

حجر تجول فى التجول

واغتال في ساح الردى منع التجول

حجر ينظر للتحول

حجر ويكتمل القمر [٣٣]

ولقد كان هذا الضرب من الالتزام عبئا ومسئولية على الشعراء ، لأن على الشاعر الجيد أن يضع هذه المضامين الشائعة بين عامة الناس ، فى قوالب جديدة غير مستهلكة ، وقد أشرنا الى أن المضمون الجيد وحده لا يصنع قصيدة جيدة ، وأنه يحتاج الى قالب فنى جيد لكى يصل الى هذه القصيدة ٠

٢ - الموسيقى :

جميع العناصر العملية الشعرية من خيال شعرى وتقنيات فنية متنوعة، ولغة محكمة وغير ذلك يمكن اكتسابها من خلال القراءة الا موسيقى الشعر لا يمكن اكتسابها ، لذا فهى فى نظرى - وحدها - تعادل الموهبة ، فاذا توفرت الموسيقى يمكن تدريب صاحبها وتثقيفه وصقله ليصبح شاعراً متميزاً ، لكن اذا لم توجد هذه الموسيقى، كان مايكتب لونا من الاجتهاد يمكن نسبته الى الخاطرة أو غير ذلك من ألوان النثر ، وبين الموسيقى الكاملة وبين النثرية الكاملة درجات متفاوتة يحتلها عشرات الشعراء ٠

والشاعر لا يمكن له أن يعتمد على الموسيقى، أو الموهبة، فقط وذلك رغم الأهمية الفائقة لهذه الموسيقى اذ لابد له من ثقافة عميقة، ودربة طويلة ومعاناة شاقة تعطى هذه الموسيقى معناها وقيمتها ، والا ظل شعره بين الأشعار ، كالطبلة بين

---

(٣٣) ديوان « حجر ويكتمل القمر » اتحاد الكتاب ٠ القدس ٠ سنة ١٩٩٠ ، ص ٣٠ ٠

الأدوات الموسيقية ، فالطبلة تنظم الايقاع ولكن لا عمق وجداني فيها ٠

ولما كان القانون الوحيد الذى يحكم الموهبة هو قانون الندرة ، كما أشرنا من قبل ، كان لابد أن نقرر أن عدد من يمتلكون ناصية موسيقى الشعر فى شعرنا المحلى قليل وهذا أمر طبيعى يجب ألا يستاء منه أحد ، فمن المؤكد أن الذهب لن يكون له قيمة معنوية أو مادية لو كان موجوداً بنفس الكم الذى للحديد ٠

والدارس لشعر الانتفاضة يلمس مثل هذه الموسيقى المتميزة فى أشعار المتوكل طه وعبد الناصر صالح وعدنان ضميرى وغيرهم ، الا أننى وجدت هذه الموسيقى على أوضح ما تكون لدى شاعر من ناشئة الشعراء فى قطاع غزة وهو سائد السويركى ، ومن شعره هذا :

بيروت قلبى ٠٠ والخروج المقصلة
وأنا الندى للشمس فوق السنبلة
وأنا الحقيقة والطريقة والهدف
وأنا العزيمة والهزيمة والصدف
وأنا القرار أنا الفرار أنا الهدى
وأنا الضلال كما السراب على المدى [٣٤]

وكما ذكرت ، فان الموسيقى دون ثقافة ودون وعى عميق لا تقيم قصيدة جيدة وهذه شاعرة تستخدم موسيقى بحر

---

(٣٤) ديوان رسالة إلى الخندق المجاور بدون تاريخ أو مكان النشر ص ٤٩ - ٥٠ ٠

الكامل لكن القصـــيدة ظلت ساذجة ، بل وموســـيقاها كانت خفيفـــة تقول :

الدمع أرقنـــا
والحزن مزقنا
والنهـــر فينـــا سائل أين الوفاء
القلب شوقنا
الحب جمعنا
والشعب فيكم واعد كونوا لقاء
الحصن مذهبنـــا
الغصن محضرنا
والأرض يا وطنى عماد لاشقاء [٣٥]

٣ - الجدة والابتكار والتفرد :

ذكرنا من الخصائص السلبية لشعرنا المحلى « التشابه» وقلنا ان معظمالشعراء كانوا يدورونحول الموضوع الوطنى وحث الشعب على الصمود والنضال ، لكن معظم شـــعرنا المحلى صاغ هذه الحقائق بطريقة تقريرية وخطابية فيها كثير من الهتاف ، وهذه الأمور من ألد أعداء الفن ٠

لذا كان الشاعر الذى يأتى بموضوع جديد ، يستدعى التقرير ، كما كان الشاعر الذى يقع على أسلوب فنى جديد ، أو يعـــالج موضوعا قـــديما بطريقة جديدة ، أو يتـــدم رؤية خاصة للكون وللحيـــاة ولا تكون قصيدته تكراراً لمـــا قالتـــه

---

(٣٥) ديوان « حجر سلاحى » إيمان عبد الله إتحاد الكتـــاب ٠ القدس سـنة ١٩٩٠ ص ١٩ ٠

آلاف القصائد من قبل ، مثل هذا الشاعر يستحق كل التقدير والاهتمام ، لأنه هو المبـدع ، وهو الشاعر الحق ، الشاعر الذى يستطيع تحطيم قيـود التشابه والتـكرار والاعادة ، ويقدم لنـا أموراً جديدة وقوالب فنية جديدة ورؤية متفردة للعالم مثل هذا الشاعر قليـل ٠

ها هو ذا الشاعر المتوكل طه ، يفكر ـ وهو فى السجن ـ فى المنـاضلات الفلسـطينيات رهن الاعتقـال ويكتب لهن مواسيا ومشجعا ومحييا ، يقول بعنوان :

رسـالة من (أنصـار ـ ٣) الى المنـاضلات فى نفى « ترتسيا »

لعلك يا أخت روحى بخير
لعـل الجميع بخير
أكتب من نرجس القلب
آية حبى الكبير اليـك
وأهدى اليـك السلام
وأسأل عن مهرة قيدوها
وعن غيم عينيك أسأل
عن دمعة فى المساء
ومن عندنا فى لهيب الصحارى
ثلاثة آلاف واحة عشق
تقد اليك نشيد النخيل
وتهدى أليك رحيق الحداء
وترسل عبر رداء الطيور

جراحات نای المحبين
عطر الصهيل ووجه السماء
وأسأل كيف تنام عصافير حزنك ... [٣٦]

وفى حين يصرخ الكثيرون رافضين السلام الذليل ، مطالبين بسلام عادل يقوم على اعطاء كل ذى حق حقه ، يفعلون ذلك فى هتاف ومباشرة بل وسذاجة أحيانا ، نجد من يقدم هذا المعنى فى صورة فنية متفردة، يقول سائد السويركى مخاطبا الحسين :

يا سيدى
هل تستطيع حمامة مذبوحة
دحر العدو عن البنفسج فى دمى [٣٧]

ومن عناصر الجدة والابتكار التى وقع عليها بعض شعرائنا ، توظيف الأسلوب القرآنى بوعى واقتدار ، ومن ذلك قول الشاعر ماجد الدجانى بعنوان « الأرض والأطفال»

ومن بعد صمت كصمت البراكين
زلزلت الأرض زلزالها
وأخرجت الأرض أطفالها
وضج الجميع لماذا ؟؟ وكيف
وأنى لها
فقلت هو الله أوحى لها [٣٨]

---

(٣٦) شعر الانتفاضة ص ٧٨ .
(٣٧) رسالة إلى الخندق المجاور ص ٧٧ .
(٣٨) تواقيع على دفاتر الأطفال . إتحاد الكتاب سنة ١٩٩١ ص ٥

ويعود الشاعر ذاتـه الى الأسلوب القـرانى بطريقـة متفردة جداً فى موضوع كثر فيـه الشعر بل كتب فيه أغلب الشعراء ، ان لم يكن كلهم ، وهو تخـاذل الموقف العربى ، مستغلا قصـة موسى عليه السلام مع اليهود وكيف اتخذوا عجلا يعبـدونه من دون الله ، وخانوا عهدهم معـه ، يقول الدجانى فى قصيدة « آهتان وزفرة »

لعلك باخع نفسك
على أثارهم أسـفا

لعلك كدت من أجل
الوصول بهم الى الميناء أن تهلك
لعلك قد سريت بهم
لعلك فى الشعاب الصعبة المسلك
مشيت بهم قطعت بهم
رمال البيد تحت الشمس
فى الفلوات لكن غيروا بعدك
وعجل السامرى غدا لهم ربا
نسوا قولك
أحبوا الشوك والصبار داسوا
الفـل والليلك
لعلك باخع نفسك
على أثارهم أسـفا
ألا انظر يا أخى حولك
فكم فى هذه الدنيـا

نبى خانه أهلوه
أو صلبوه رغم وفائه قبلك [٣٩]

كانت هذه القصيدة خير قصيدة كتبت فى هذا المعنى ، ذلك أنها ابتعدت عن التقريرية والمباشرة والصراخ ، واستخدم فيها الشاعر الأسلوب القرآنى استخداما طيعا جعل قصيدته متفردة فى بابها .

ولا يعنى هذا أن كل من يستخدم الأسلوب القرآنى يكون شاعراً جيداً ولكن طريقة توظيف هذا الأسلوب هى التى تحدد قوة أو ضعف الشاعر ، فهناك من يستخدم الأسلوب استخداما ساذجا لا أثر للشعر فيه ، ومن ذلك قول أحدهم :

فاحمد الله فان الله خير الحاكمين
واعتصم بالله ان الله خير الفاتحين [٤٠]

وهذا القول يصلح بالتأكيد لخطبة الجمعة ، ولكنه لا يصلح بالمرة للشعر ....

★ ★ ★

وبعد ....

فان مقارنة الظواهر الايجابية مع الظواهر السلبية تعطينا نتيجة محددة وهى تفوق واضح للظواهر السلبية من الناحيتين : الكمية والنوعية ، وان دل هذا على شىء فانما

---

(٣٩) السابق ص ٥٣ .

(٤٠) شعر الانتفاضة ص ١٢٩ « والشعر » لخالد سعيد .

يدل على وجود أزمة ثقافية ، وبالذات على صعيد الشعر ، ومن أهم ملامح هذه الأزمة ما يلى :

أولا : ما ذكرناه من عدم وجود جيل من الشعراء يخلف الرعيل الأول أمثال درويش والقاسم وبسيسو ، وذلك منذ ربع قرن تقريبا ولعل أفضل مقياس نستدل به على وجود مثل هذا الجيل أو عدم وجوده هو القارىء العربى خارج الأرض المحتلة ، وأنا أشدد على هذا المقياس لموضوعيته مقابل المقاييس العاطفية التى يضعها البعض ٠

ثانيا : ومن أعراض هذه الأزمة وجود المئات ممن يحاولون كتابة الشعر دون أن يعرف معظمهم مفهوم هذا الفن أو طبيعته أو أدواته ، ولعل هذا العرض يكون سببا فى الوقت ذاته ٠

ثالثا : قيام اتحاد الكتاب بنشر العشرات ـ ان لم يكن المئات ـ من الأعمال الرديئة والتى لا تنتمى على الاطلاق الى ميدان الشعر مماساهم فى افساد الجو الثقافى، حيث تصور الكثيرون أن هذا هو الشعر ، فوضعوا بذلك أسسا خاطئة لبناء ثقافتهم الشعرية ٠

رابعا : عدم قيام المؤسسات التعليمية الكبرى ، كالجامعات والمعاهد وغيرها ، بدورها الثقافى المنوط بها ، ففى الجامعة الاسلامية ـ على سبيل المثال ـ وعلى مدار العشر سنوات الأخيرة لم يقم مهرجان أو ندوة أو أمسية للشعر ٠

خامسا : قيام النقد الأدبى ، فى معظمه ، على العلاقات الشخصية ، وما يتبعها من مدح أو قدح تابع لهذه العلاقات وليس لجودة أو رداءة العمل الأدبى ذاته .

سادسا : غياب النقد الأكاديمى - تقريبا - عن مواكبة الحركة الثقافية فى الأرض المحتلة ومحاولة تصحيح مسارها، وذلك لأسباب عديدة يعود بعضها الى الأكاديميين والبعض الآخر الى الحركة الثقافية والبعض الثالث الى الظروف الاستثنائية التى نعيشها .

سابعا : ولعل من أهم أسباب هذه الأزمة ، وأعراضها، ليس على صعيد الشعر فقط ، ولكن على الصعيد الثقافى كله : قلة القراءة ، ولم أجد بعد ذلك الأديب الشاعر أو القصاص الذى يدرك قيمة القراءة بالنسبة لعمله الابداعى، والقليل ممن يقرأون انما يقرأون لزملائهم ، لذا نجد الأعمال الأدبية محكومة بالتشابه فى الشعر والقصة أيضا .

لعل غياب هذه القراءة العميقة هو سبب سطحية كثير من الأعمال الأدبية فى أدبنا المحلى ، ولقد أشار البرغوثى الى هذه السطحية باعتبارها أهم مظاهر أزمة الشعر المحلى (٤١) .

ثامنا : ومن مظاهر هذه الأزمة المستعصية عدم ادراك من يكتبون الشعر لهذه الأزمة وادراك أى انسان لأزمته هو

---

(٤١) أزمة الشعر المحلى . حسين البرغوثى . منشورات صلاح الدين . القدس . سنة ١٩٧٩ ص ٧ .

الذى يدفعه لتجاوزها أو حلها ، ولقد مر بنـا قول أحدهم :
« ان شعرنا رائع جـداً » بينما شعره قـد ينتمى لأى فن من
الفنون عدا الشعر .

بقيت قضية ملحة حول شعر الانتفاضة فى الأرض المحتلة
ذلك أن كثيراً من الشعراء بل والنقاد يرون أن الشعر المقاوم
لابد له من أن يختلف فى خصائصه وطبيعته عن بقية الشعر
ذلك أنـه يخاطب أكبر عدد ممكن من القـراء ، كما يخاطب
العواطف والانفعـالات بقصد الاثارة السريعة . لذا لابد له
من المباشرة والوضوح ، وبالتالى فهم يبررون ما يقع فيـه
معظم شعرائنا من مباشرة وهتـاف وخطـابية ، ويستدلون
على رأيهم هذا بقصيدة محمود درويش ذائعة الصيت :

سجل أنا عربى
وأولادى ثمانية وتاسعهم سيأتى بعد صيف
أنا عربى
ولون الشعر : فحمى
ولون العين : بنى
وميزاتى : على رأسى عقال فوق كوفية
اذن سجل برأس الصفحة الأولى
أنا لا أكره النـاس
ولا أسطو على أحد
ولكنى اذا ما جعت آكل لحم مغتصبى
حذار ... حذار ... من جوعى
ومن غضبى (٤٢)

---

(٤٢) ديوان أوراق الزيتـون : ص ١٢٧ .

وهذا الرأى - على وجاهته - بعيد عن الصواب ، ذلك أن أصحاب هذا الرأى لم يسألوا أنفسهم : لماذا خلدت هذه القصيدة لمحمود درويش بينما سقطت آلاف القصائد التى كتبت بعدها ووقعت فى المباشرة والخطابية ؟ ان قصيدة درويش تمثل لوحة فنية كاملة الملامح للانسان الفلسطينى الذى يقف فى وجه القمع والارهاب الاسرائيلى وفيها من المعانى الانسانية الشىء الكثير ، فهذا الانسان الفلسطينى رغم كفاحه المرير ضد المستعمر الا أنه لا يسطو على أحد ولا يكره الناس ، انه بكل بساطة انسان كبقية البشر لم يحمل سلاحه الا بعد أن اعتدى عليه الآخرون وسلبوا كل حقوقه ، هذه المعانى البسيطة الثابتة والانسانية بالاضافة الى الشكل الموسيقى الذى وقعت عليه القصيدة والبناء اللغوى الذى صيغت فيه ، كل هذا جعلها تنال مكانة كبيرة فى تاريخ الأدب وليس للمباشرة والخطابية شىء فى هذا الفضل .

ثم ان جميع الشعراء المتازين استطاعوا التعبير عن قضاياهم الوطنية والسياسية لكن من خلال أطر فنية بعيدة عن الهتاف والمباشرة ، ولنأخذ مثلا من قصيدة نزار قبانى فى رثاء أربعة شهداء فلسطينيين اغتالتهم المخابرات الاسرائيلية فى بيروت عام ١٩٧٣ م فى شارع الفردان ، يقول فيها بعنوان « عرس الخيول الفلسطينية » :

(١)

فى شارع (فردان) كانت تموت الخيول الجميلة
بصمت ،
وتختار ميتتها النادرة
يقولون أن الخيول بفطرتها

تعانى من العشق أيضا
وتعرف معنى الفراق ، ومعنى الشجن
وتقرأ أحسن منـــا جميعا
كتـــاب الوطن

(٢)

لمـــاذا يسمونه مأتما ؟
لقد كان أروع عرس رأته المدينة
ويا أم يوسف أنت العروس

ونحن شهودك ليل زففت لزين الشباب
ونحن رشقناكما بالملبس والورد
نحن رقصنا أمامكما رقصة السيف والترس،
نحن وضعناك فوق حصان العريس
وثوب زفافك

كان يلامس أشجار غزة والناصرة ..
لمـــاذا يقولون ان الخيول ..
اذا قتلت ـ تفقد الذاكرة ؟

(٣)

صديقى كمال (*)
صديق الدفاتر والحبر ، والكلمات الجديدة
أكل الرصاص الذى أطلقوه عليك ؟
لقتـــل قصيدة ؟

(*) هو الشاعر والأديب الفلسطينى الشهيد كمال عدوان .

أكل الثقوب التى تركوها على شفتيك ؟
لقتــل قصيدة ؟
لقد كان عرسا جميلا
وكنا نزفك بين رنين الدفوف ، وضوء المشاعل
وكنت تغنى ـ ونحن نلملم عن شفتيك ـ
ألوف السنابل ـ
وكنت تعلمنا كيف نلغى المسافة
بين الأديب وبين المقــاتل ..
وكنت تعلمنا يا صديقى
بأن المسدس لا يستطيع اغتيال البلابل ... الخ [٤٣]

وهنا لابد أن نشــير الى أن الشــاعر لا يكتب بطريقــة اختيــارية ، فيحدد أن هذه القصيدة عميقة وفنيــة ، وهذه القصيدة مباشرة وسطحية ، ان عمق ثقافة الشاعر وتمكنه من أدواته الشعرية وعمق التجربة الشعورية هو الذى يحدد فنيــة القصــيدة أو ضحالتها ، ولا يمكن أن نبرر ســطحية الشعر وضحالته بأى مبرر مهما كانت الظروف .

---

(٤٣) الأعمال السياسية ، منشورات نزار قبــانى بيــروت بدون تاريخ ص ١٢٢ ـ ١٢٥ .

التوصـــيات

أما كيفية الخروج من هذه الأزمة ، فان ذلك ليس بالأمر اليسير ، ليست هناك وصفة سحرية تخرجنا من هذه الأزمة الى انتعاش ثقافى بين يوم وليلة ، ولكن هناك طرق ـ أعتقد أنها ليست مجهولة ـ لاقالة الشعر المحلى من عثرته ، ويمكن ايجازها فيما يلى :

١ ـ يجب أولا وقبل كل شىء وقف اصدارات اتحاد الكتاب من دواوين شعرية ، أى أنه يجب وقف النزيف قبل أية خطوة للعلاج (٤٤) .

٢ ـ تشكيل لجنة من أساتذة الأدب والنقـد فى الجامعات الفلسطينية ، بواقـع عضو أو اثنين من كل جامعة ، يضاف اليهم رئيس اتحاد الكتاب ، وتقوم هذه اللجنة بتدارس وضع الشعر المحلى وكيفيـة النهوض بـه ، وتقـوم بوضع التوصيات التى يقوم الاتحـاد وبقيـة المؤسسات الثقافية بوضعها فى حيز التنفيذ .

٣ ـ تقوم كل جامعة بما تقوم بـه جامعة النجاح الآن ، أى عمل ندوة عن شـعر الأرض المحتـلة مرة كل عام ، مما يثرى الحركة الشـعرية (*) والنقـدية ، ويدخل بالشعر الى الطريق الصحيح ...

---

(٤٤) جدير بالذكر ان إتحاد الكتـاب نشر ديوانا من قطاع غزة بعـد أن أوصت لجنـة القراءة بعـدم صلاحية هـذا الديوان للنشر على الإطلاق مما سبب فى استقـالة هذه اللجنـة .

(*) ذلك أن هذا البحث قـدم فى ندوة « أدب الانتفـاضة » التى أقامتها جامعة النجاح فى يونيـو ١٩٩٣ م .

خاتمة

نخلص مما سبق الى أنه لم تنشأ حركة شعرية متميزة في فترة الانتفاضة نستطيع أن نسميها « شعر الانتفاضة » ، حركة شعرية تمثل الانتفاضة خير تمثيل من ناحية المضمون، وترتفع الى مستوى الانتفاضة من ناحية الأداء الفنى ، فشعر الانتفاضة ـ من الناحية الزمنية ـ لم يختلف عن سابقه فنيا في شيء ، اللهم الا زيادة عدد الشعراء زيادة مرضية ، أما من ناحية المضمون فلم يتغير كثيراً ، فقد كان الهاجس الوطنى هو المسيطر على الشعراء قبل الانتفاضة وظل هذا الهاجس مسيطراً عليهم طيلة فترة الانتفاضة ولكن بصورة أكثر الحاحا ٠

والشعر الذى يمثل الانتفاضة ـ فى رأينا لا يمثلها بانتشار كلمة الحجر فى القصائد فلقد وجدت هذه الكلمة فى عشرات القصائد قبل الانتفاضة ، ذلك أن الواقع شهد العديد من الانتفاضات الصغيرة قبل هذه الانتفاضة ، أقول ان تمثيل الانتفاضة حقها لا يكون بكلمة هنا أو كلمة هناك لأن هذا يشبه دعوى التجديد فى الشعر الكلاسيكى بادخال لفظة عصرية هنا أو لفظة هناك بينما ظلت الروح كلاسيكية والأسلوب كلاسيكى ، اننى لا أستطيع أن أحدد بوضوح ما يجب أن يكون عليه شعر الانتفاضة ، ولكننى أعلم تمام العلم أنه يجب أن يتميز عن سابقه ولاحقه من الشعر ، ويجب أن يعرف القارىء ـ بعد خمسين عاما ـ أن هذا الشعر كتب معبراً عن هذه المرحلة ، وباختصار فان هذه الانتفاضة

العظيمة يجب أن تخلق شعراً عظيما ٠

ويجب أن أنوه هنا الى أننى لست أول من نادى بهـذا الرأى ، فلقد قال به الكثيرون قبلى وان كان لى فضل فى هذا المجال فهو محاولة التدليل على هذا الرأى بطريقة علمية ٠

وأخيـراً وأنا أنهى هـذه الدراسـة ، يلح على هـذا السؤال :

بعد أن تؤتى الانتفـاضة ثمارها بقيـام دولة فلسطين المستقلة ان شاء الله ٠

ما الذى سيبقى من هذا الشعر ؟ ؟

هـذا ما ستجيب عليـه الأيام ٠٠٠